

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد: أيها المسلمون أصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل...

أيها المسلمون ما الذي يحدث في الغرب الرأسمالي المعروف بقوته؟ ما الذي يحدث حتى دب الخوف والهلع إلى هؤلاء المعروفين بالحنكة والاحتراف في التخطيط والتنظيم والمتابعة والرقابة؟؟ ما الذي يحدث حتى سارع العديد من أهل الرفاهية في الغرب إلى الهروب من الأحياء الراقية إلى ضواحي المدن والقرى؟ ما الذي يحدث حتى إن عددا كبيرا ممن عرفوا بالغناء الفاحش حملوا كلابهم وقططهم التي طالما آثاروها على كثير ممن لبس الثياب وبادروا بتسليمها إلى دور رعاية الحيوانات نظرا لثقل العبء المتوقع من المصاريف اليومية التي تعود إلى هذه الحيوانات الأليفة؟

ما الذي يحدث حتى اعترف مدير صندوق النقد الدولي بأنه خلال سنة 2008م انتقل مائة مليون شخص من الغنى إلى قائمة فقراء العالم، وأن ما يزيد على مليار شخص في الدول الكبرى يعانون الآن من سوء التغذية؟

ما الذي يجري حتى انهارت عدد هائل من البنوك وشركات الاستثمار، وصارت كبريات البنوك العالمية المعروفة على حافة الإفلاس؟

إن الذي يحدث -أيها الإخوة- باختصار هو مخالفة سنن وقوانين خالق هذا الكون العليم الخبير بشئون من خلق.

حتى نصف لك ما يحدث في صورة ميسرة تصور أن هناك شخصا اسمه عبده راتبه 200 ألف فرنك، ونفقاته الشهرية 200 ألف فرنك إيجار بيته 100 ألف، والباقي يذهب فيما تبقى من المصاريف، وجد جاره سامبا الذي يشاركه في نفس العمل وبنفس الراتب يسكن في بيت يملكه -كذا زعم- ورأى أنه يسوق سيارة جديدة مما أثار فضوله فكان لا بد من سؤاله: أنى لك هذا؟؟ فكان جواب الجار مفاجئا حين قال له: إن بإمكانك الحصول على مثل هذا، فلم يصدقه لأول وهلة غير أن هذا الجار أعطاه رقم مكتب المصرف وقال له اتصل بهم وقل لهم ما تريد.

فلم ينم الرجل تلك الليلة وبادر في الصباح إلى المكتب حيث أخبرته الموظفة أنه لا يمكنه الحصول على أي قرض من أي بنك بسبب انخفاض راتبه من جهة، ولأنه لا يملك من متاع الدنيا شيئا ليرهنه من جهة أخرى. ولكنها ستساعده على الحصول على قرض، ولكن بمعدلات فائدة عالية.

كل هذه التفاصيل لم تكن مهمة لعبده المهم ألا تتجاوز الدفعات 100 ألف فرنك شهريا.

باختصار، اشترى عبده بيتاً قيمته الحالية 15000000 عليها فائدة قدرها 20٪ دفعاته الشهرية تساوي ما كان يدفعه إيجاراً للشقة، كاد عبده يطير فرحاً عندما يتحدث عن هذا الحدث العظيم في حياته: فكل دفعة شهرية تعني أنه يمتلك جزءاً من البيت، وهذه الدفعة هي التي كان يدفعها إيجاراً في الماضي. إلا أن صاحبنا عبده وزميله سامبا لم يقرأ العقد والكلام الصغير المطبوع في أسفل الصفحات بتمهل كاف. فهناك فقرة تقول:

إن أسعار الفائدة متغيرة وليست ثابتة. هذه الأسعار تكون منخفضة في البداية ثم ترتفع مع الزمن. وفقرة تقول: إن أسعار الفائدة سترتفع كلما رفع البنك المركزي أسعار الفائدة. وفقرة أخرى تقول: إنه إذا تأخر المدين عن دفع أي دفعة فإن أسعار الفائدة تتضاعف ثلاث مرات.

بعد أشهر رفع البنك المركزي أسعار الفائدة فارتفعت الدفعات الشهرية ثم ارتفعت مرة أخرى بعد مرور عام، وعندما وصلت الدفعة إلى 150 ألف فرنك تأخر عبده في دفع الدفعة الشهرية، فارتفعت الدفعات مباشرة إلى مائتين وأربعين ألف فرنك شهريا. ولأنه لا يستطيع دفعها تراكمت عقوبات إضافية وفوائد على التأخير وأصبح عبده بين خيارين، إما إطعام عائلته وإما دفع راتبه كله للبنك، فاختار الأول، وتوقف عن الدفع.

اكتشف عبده أن زميله سامبا قد طرد من بيته وعاد ليعيش مع أمه مؤقتاً، واكتشف أيضاً أن قصته هي قصة عديد من زملائه فقرّر أن يبقى في البيت حتى تأتي الشرطة بأمر الإخلاء. مئات الألوف من سكان المدن الراقية في الغرب عانوا المشكلة نفسها التي أدت في النهاية إلى انهيار أسواق العقار.

أرباح البنك الذي قدم قرضاً لعبده كان المفترض أن تقتصر - على صافي الفوائد التي يحققها من هذا القرض، ولكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد. قام البنك ببيع القرض على شكل سندات لمستثمرين، وأخذ عمولة ورسوم خدمات منهم. هذا يعني أن البنك كسب كل ما يمكن أن يحصل عليه من عمولات وحول المخاطرة إلى المستثمرين. المستثمرون الآن يملكون سندات مدعومة بعقارات، ويحصلون على عوائد مصدرها مدفوعات عبده وسامبا وأمثالهما. هذا يعني أنه لو أفلس عبده أو سامبا فإنه يمكن أخذ البيت وبيعه لدعم السندات. ولكن هؤلاء المستثمرين رهنوا هذه السندات، على اعتبار أنها أصول، مقابل ديون جديدة للاستثمار في شراء مزيد من السندات. نعم، استخدموا ديوننا للحصول

على مزيد من الديون! المشكلة أن البنوك تساهلت كثيرا في الأمر لدرجة أنه يمكن استئانة 30 ضعف كمية الرهن.

باختصار، يعتقد عبده أن البيت بيته، والبنك يرى أن البيت ملكه أيضاً. المستثمرون يرون أن البيت نفسه ملكهم هم لأنهم يملكون السندات. وبما أنهم رهنوا السندات، فإن البنك الذي قدم لهم القروض، يعتقد أن هناك بيتا في مكان ما يغطي قيمة هذه السندات، إلا أن كمية الديون تبلغ نحو 30 ضعف قيمة البيت. في النهاية، لما توقف عبده عن سداد الأقساط، ومثله مئات الألوف من الناس فقدت السندات قيمتها، وأفلست البنوك الاستثمارية ثم إن عمليات الإفلاس أجبرت البنوك على تخفيف المخاطر عن طريق التخفيض من عمليات الإقراض، الأمر الذي أثر في كثير من الشركات الصناعية وغيرها التي تحتاج إلى سيولة لإتمام عملياتها اليومية، وبدأت بوادر الكساد الكبير بالظهور، الأمر الذي أجبر الحكومات على زيادة السيولة عن طريق ضخ كميات هائلة من المال لإنعاش الاقتصاد الذي بدأ يترنح تحت ضغط الديون للاستثمار في الديون!

هذا جانب من جوانب هذه الكارثة التي حلت بالعالم بسبب إغراض الناس عن شرع الله، ويبقى أن نعرف شيئا عن المخالفات الشرعية الخطيرة التي وقع فيها هؤلاء حتى نألمهم ما نألمهم من هذا العذاب، وما هي خصائص الاقتصاد الإسلامي حتى ينادي عدد من خبراء الاقتصاد في الغرب إلى تبني منهج الإسلام المالي؟ وذلك ما نسأل الله أن يعيننا على إبرازه وتوضيحه في الخطبة القادمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين...

(الجمعة 16/10/1429 هـ = 17/10/2008 م)